غرورُ رجُلٍ وَ كِبرِيَاءُ أُنثَى.

إيمان تمغارت "الجزائر"

بَينَ أسوارِ حديقَةٍ غنَّاءْ للناظرينَ تسرُ؛ جَلَسَا سَوِيًا تحتَ زَخَّاتِ المطرِ وَ بَيْنَ الشجَرِ وعبيقِ الزَهرِ، يَتبادلانِ أطرافَ الحديثْ.

فجأةً سكونٌ وهرولةٌ كقلبٍ خاشعْ في هيكلٍ رائعْ.

رفعَ عَيناهُ الواضحَتين لِيَنظُرَ إليهَا بُرهَةً في تردُدْ حتَّى يَتبصَّرَ حينَها بدقةِ أريبٍ: إنِّي تائهٌ في دوامَةِ الوَصبِ لا أدري سبيلَ الخلاصِ منْها.

تُجيبهُ: إيَّاكَ أنْ تَستَنزِفَ نفسَكَ في حبٍ مُتَعثِّرٍ فَتصْبحَ أسيرَ الزَمَنِ لا عَقلُكَ يَرْكَنُكَ ولا قَلبُكَ يَقْسِطُكَ.

يَسألهَا حينَها: أيَليقُ بِمَنَ مِثْلِيَ أضناهُ العَشْقُ غارقٌ في بحر الحبِّ أنْ يذوقَ وحدَهْ طَعمَ الشوقِ وطيفَ الهيَامِ و يَبقى وحِيدَا.

فجاء الجوابُ مِنها: لاتَفتنِي المجاملاتُ اللفظيَة على عكسِ الفعليَة لا المعيَة ولا الهديَة بلْ تأسِرنِي الأفعالُ الرُجوليَة وحياةٌ تسيرُ على نحوٍ جميلٍ زوجيَة.

يرتشفُ كأسَ ماءٍ دفعةً واحدةً يعودُ سائِلاً: أوَ لا تُجيدِين قرائَتِي في ظِلِّ صَمَتِي.

ترد: بَلى ياسَيِّدي ولكنِّي أدركتُ أنَّه بينَ التَبسم والصمتْ، بين التلميح والتصريح جزءٌ جوهريٌ أكثرَ إفصاحًا في لغةِ الحُب.

إنه يقولُ حلاوةُ الحب الإنتظارْ.

فتقول: الإنتظارُ مؤلمٌ والنسيانُ أكثر ألمَا.

تلاعبَ بصوتِه بنبرةٍ تمثيليَة: إنَّهُ غرامٌ فوق السَحابْ وإنِّي أضيعُ حينَ الإقترابْ.

تُجيبُ بثقةٍ وعفويَة:صعبٌ هو طرقُ البابْ وأصعَبْ منهْ هو الغيابْ.

يقولُ لكنِّي أحببتُكِ وليتَ الحَظَّ يأتِي بكِ

تُهَمْهِمُ: إنَّ الجبانَ من ينتظرُ الحظّ؛ فحتَّى الحظّ يفضلُ الشجعانْ...

يقاطعها: إنِّي جَريء للشجاعةِ عنوانْ.

ترد عليهِ: كلُّ كلبٍ شجاعٍ أمامَ بيتهْ.

يَبْتلِعُ ريقَهُ بِصُعوبَةٍ يَتفَوَّهُ: لكنِّي تقدمتُ لكِ بالقلبِ والكيانْ.

هيَ مجددا: منْ أرادَ قربي حقًا يلازمُ بابَ بيتِي

إرتبكَ عصرتْ أصابعَه بَعضَها يتصنعُ المثاليَة: ذَرينَا نَتقَربُ

بالأكثريَة، بحُرِّيَة، نعيشُ الواقعيَة، نعيشُ الآنيَة بكلِّ أريحيَة.

أمَالتْ رأسها أطَالتِ النظرَ إليه: إنَّكَ تَتعلَّلُ بأسبابَ واهِيَة؛ إنَّ الأريحيَة تحْت سقفِ الحياةِ الزوجيَة؛ أبُوَّة، أُمومَة و مسؤولِيَة.

يَتهكَّمُ بِسُخريَة: مشَاويرٌ، لقاءاتٌ هيَ العلاقاتُ الحاليَة أمْ أنَّكِ لا تعرفينَ العصريَة.

تَمْتَعِضُ من سُخريَتِه: إحذَر أنا أنثى في زمنِ اللامعقولِ خُرافِيَة.

اِزدَاد كلامَهُ حدَّةً،خُشونَةً وَ غُرورًا: مُجرَّدُ جسدٍ هي الأنثى، هيَ كالحذاءِ أستطيعُ تَغْييرهُ حينمَا أردتُ.

أبصَرَتْهُ بحدَّةٍ قائلِةً: هِي حذاءٌ لِمَنْ يَرى نفسَه قدمًا وتاجٌ لِمن يرى نفسه مَلكًا، أُنثى أنا ولست مجرَّدَ وجبةٍ مسائِيَة لستُ رسومًا تُزيِّنُ شَراشِيفكَ الحَريريَة، أنا أنثى حقَيقيَة كحقيقَة الربِّ الوُجودِيَة.

بلهجةٍ حادَّةٍ صَاتَ: إنَّ الأنثى ليسَت إلا لعبَة.

هَجَتْهُ: حتَّى لعبَة الشِطرنج فيها ملكٌ و مافيها ملكة

إنَّ الأنثى أعجوبَة أبدًا لن تكون ألعوبَة.

فَجَثَى باهِتًا

سكتَ هُنَيْهَاتٍ و تَلفَّظَ: يُقَالُ أنَّكنَّ ناقصاتُ عقلٍ ودين.

تُبْلِغُهُ: ماذا عَن سورةِ مريمَ والنساءْ، أوَليستِ الجنَّةُ تحْت أقدام الأمهاتْ،إنَّكَ تَتيهُ فرحًا وطربًا بإتهامْ الإسلامْ

قال: إنَّ الرجال قوامون على النساء.

فقالت: رفقًا بالقوارير واستوصُوا بالنساءِ خيرا.

إنَّ جَبِينَهُ يَتَفَصَّدُ عَرَقًا،تَلعْثَمَ لِسَانه فَاهَ: إنَّه لا يوثَقُ في قلوبكنَّ أيتها النساء

بَلَّغَتْهُ: مَنْ كان فَاسِقًا أسَاءَ الظنَّ بكلِّ الفتياتْ.

ردَّ: كُلُّكُنَّ مُتماثلات

أعَجَزَتْهُ: وهل أصابعُ اليد الواحدةِ مُتساوياتْ؟

فِي عينيهِ يلمعُ صمودٌ واهنٌ وقعَ نصْبَ عَينَاهَا فتمرَّدَتْ دقاتُ قلبها ؛أنْ لا تلعبْ مَعي لُعْبة الغرور إنِّي لا أُجيدُ الخَسارَة.

إستعلمَ مِنها: كيفَ السبيلُ لفؤادِكِ؟

قالت في هذا الصَدد: إنِّي لا أفتحُ باب قلبي لكلِّ من دَقَّ فهناك من يلهُو يطرقُ

ويلودُ بالفرار، إنِّي أسْكنُ فيه منْ يحملُ حقائبَ الحُبِّ ويستوطنُ بالإهتمام والإحترامْ.

هو: كيف تودين من ينالك؟ بالأحرى ماصِفات فارسُ أحلامكِ؟

تُجيب باسمة الثغر نورُ العفة والحشمَةِ ينبثِقُ من مُحيَّاها: أمَّا عنِّي: أريدُ رجلاً لي لا عليْ ؛ إنْ أصبتُ شَجَّعنِي وإنْ أخطأتُ قَوَّمَنِي، يَحوينِي بِحُضنٍ حنونْ ويُطبقُ عنِّي الجفونْ فأمْنَحهُ قلبي هديَة ونفسِي أبديَة.

فكانتْ كلماتٌ قطعَتْ دابر تَغَطُّرسِهِ

طأطأ رأسهُ خجلاً طارحًا: شَكَّلتِي سُطورًا إسْتثنَائيَة، كلماتٌ لا اعْتياديَة، جَوهَرية أنتِ حقيقيَة كمَا الجبالُ حقيقيَة.

هكذا حينَ يتكلمُ الكبرياءُ يصمتُ صراخ الغرورْ.

***